زانكۆی سەلاحەدین - هەولێر
Salahaddin University-Erbil

حرية الشعر في الإسلام

بحث مقدم الى رئاسة قسم اللغة العربية وهو جزء من متطلبات
نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

إعداد

دلخواز صابر أحمد

بإشراف

د. أيوب عمر علي

نيسان ـ ٢٠٢٤

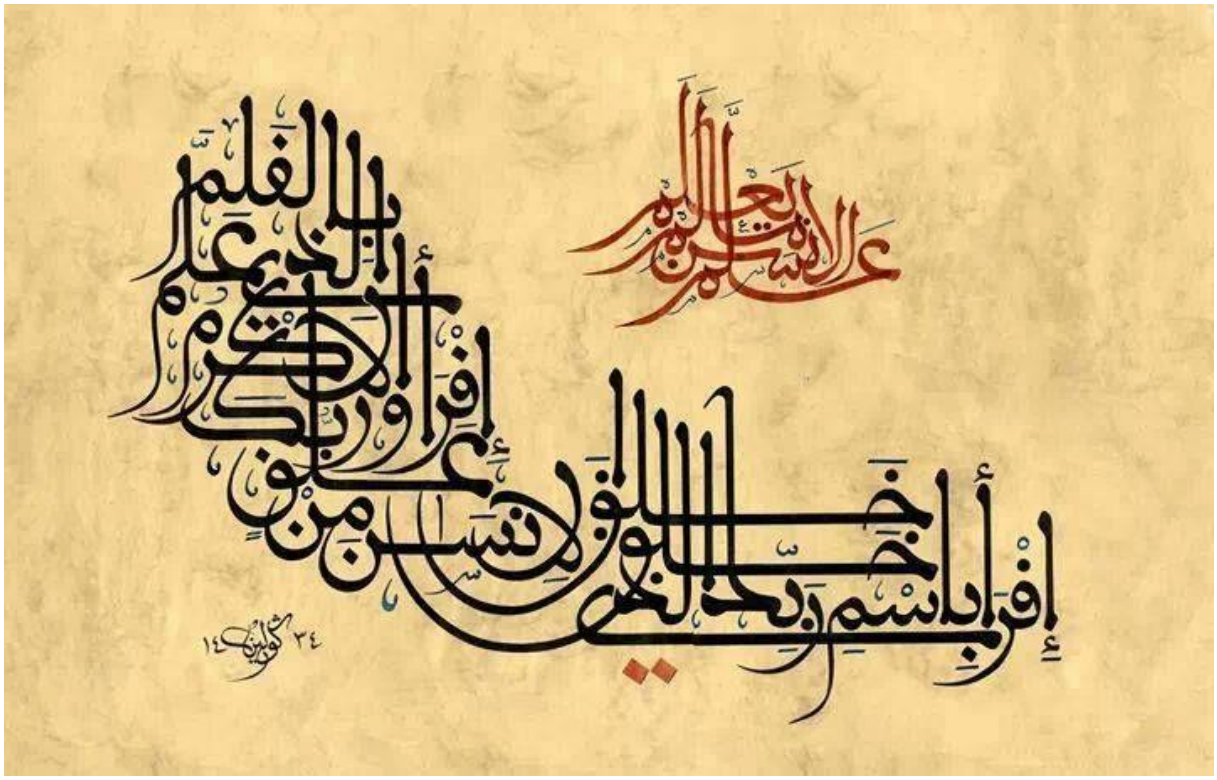
إقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الإنسان من علق
إقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم
علم الإنسان ما لم يعلم

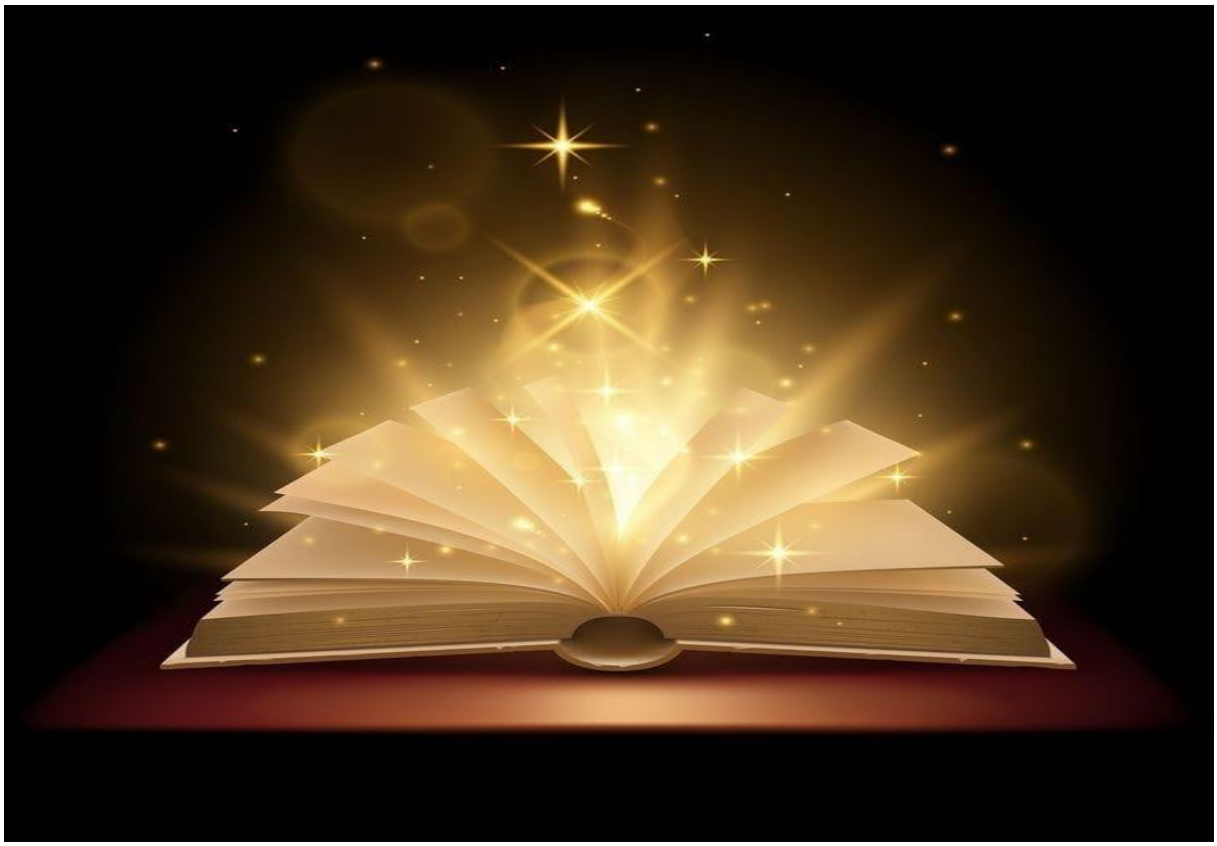

الإهداء

إلى

صاحب الذِّكْر العَطِر، والقلب المِعطاء، الذي شجعني على المثابرة والتحصيل، إلى الرجل الأسمى في حياتي، أبي رحمه الله، الذي تمنّيتُ أن يرى هذا البحث بنفسه، ولكن أَجَل الله تعالى أدركه قبل ذلك.

وإلى

التي وضعتني على دَرْبِ الحياة، وتعهّدتني بالرعاية والحنان، منذ أيامي الأولى وإلى يوم الناس هذا، أمي العزيزة، حفظها الله، وبارك في عمرها.

وإلى

الذين بذلوا جهداً طيباً مشكوراً لمساعدتي، وتذليل العقبات أمامي، إخواني وأخواتي الأعزاء.

أهدي اليهم ثمرة جهدي.

الباحثة

دلخواز صابر أحمد

الشكر والتقدير

أتقدم بوافر شكري وتقديري إلى الذين أسهموا وشاركوا برأيهم ووقتهم وجهدهم، لإنجاز هذا العمل، وأحض بالذكر أستاذي المشرف على البحث الدكتور (أيوب عمر)، لما قدم من جهد، ووقت، ونصح، وإرشاد، وتوجيهات، وآراء سديدة وقيمة، أفادت البحث، والباحثة.

ومن واجب الأمانة والوفاء أن أسجل شكري للسيد عميد كلية التربية الأساسية (د. مزكين)، والسيد رئيس قسم اللغة العربية الدكتور (أيوب عمر)، لما قدموه لي من دعم من أجل إتمام هذا البحث.

فجزاهم الله عني خير الجزاء، وأدعو الباري عز وجل أن يوفقهم جميعاً.

الباحثة

دلخواز صابر أحمد

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ - ٣
التمهيد مفهوم الحرية	٤ - ٧
المبحث الأول *الشعر قبل الإسلام وبعده*	٨ - ٢١
المحور الأول: أهمية الشعر قبل الإسلام	٩ - ١٤
المحور الثاني: تأثير الإسلام في أغراض الشعر	١٥ - ٢١
المبحث الثاني *آراء في صنعة الشعر وحريته*	٢٢ - ٢٨
المحور الأول: هل أعذب الشعر أكذبه؟	٢٣ - ٢٥
المحور الثاني: آراء في حرية الشعر	٢٦ - ٢٨
الخاتمة	٢٩ - ٣٠
المصادر والمراجع	٣١ - ٣٣

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه الكرام.

أما بعد...

فإن حرية الشعر في الإسلام موضوع يثير اهتماماً كبيراً، وقد أثيرت العديد من النقاشات حوله.

يُعَدُّ الشعر في الإسلام فناً عظيماً، ووسيلة تعبير قوية تستخدم لنقل الأفكار والمشاعر والقيم الدينية والاجتماعية، يتمتع الشعراء في الإسلام بشرف كبير، وتقدير عال، وتاريخ الإسلام يشهد على الشعراء العظام الذين أسهموا في اثراء الثقافة الإسلامية.

من الجانب الشرعي، لا توجد تعليمات صريحة في القرآن أو السنة النبوية تحدد حرية الشعر بشكل محدد.

ومع ذلك، هناك مبادئ وقيم في الإسلام تحكم الفنون والأدب بشكل عام، فالمسلمون يُشجَّعون على التعبير الإبداعي، وتجسيد الجمال، والحقيقة، في أعمالهم الشعرية، مع مراعاة القيم الأخلاقية، والأخلاق الإسلامية.

في الإسلام، يحظر الشعر الذي ينتقد الله ورسوله، أو يسيئ إلى الدين، أو يثير الفتنة والتفرقة بين المسلمين. كما يُنصح الشعراء بتجنب الشعر الذي يحتوي على الألفاظ البذيئة أو الفاحشة، أولغير اللائقة.

الخطاب الشعري في الإسلام يجب أن يكون متوافقاً مع الأخلاق الإسلامية ولغة الإسلام، ومع ذلك، فإن هذه القيود لا تعني أن الشعر في الإسلام مقيدٌ تماماً. فالإسلام يُشجع على الإبداع، والتعبير الشعري الذي يعزز الجمال والإيجابية، ويساهم في إثراء ثقافة المجتمع، والعديد من الشعراء المسلمين عبر التاريخ قدموا قصائد رائعة في مجالات متنوعة، مثل الحب، والمجد، والتاريخ، والتضحية، والتوجيه الروحي.

من الجانب التاريخي، يمتلك الإسلام تراثاً غنياً من الشعر والشعراء العظام، كالشعراء المسلمين الشهيرين أمثال الإمام الشافعي، والمتنبي، ورابعة العدوية، الذين قدموا قصائد رائعة تعبر عن العواطف والأفكار والقضايا الاجتماعية.

بصفة عامة، يكن القول إن حرية الشعر في الإسلام موجودة، ولكن يجب مراعاة القيم والأخلاق الإسلامية في التعبير والابتكار الشعري. فيتعين على الشعراء أن يكونوا حساسين للمسائل الدينية والاجتماعية، وأن يعبروا عن أفكارهم بطريقة تعزز الجمال والتضحية والإيجابية.

وهذا البحث الموسوم بـ (حرية الشعر في الإسلام) يتكون من مبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع التي استند إليها.

فأما المبحث الأول فيحمل بعنوان (مفهوم الحرية)، وأما المبحث الثاني فهو بعنوان (تأثير الإسلام في أغراض الشعر).

اخترت هذا الموضوع لأنه يعد من الدراسات الأدبية المهمة في هذا المجال، أي مجال نظرة الدين والرؤية الشرعية له، وللتعرف على مدى حرية الشعر بصورة عامة، وخصوصاً الشعر في عصر صدر الإسلام، وأردت أن أعرف المقصود بالحرية في كتابة الشعر، وما هو موقف الإسلام عن الشعر، وهل يعارض أم يعطي الحرية الكاملة للشاعر ليعبر عما في خلده ونفسه؟

وختاماً، أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ فيما طمحتُ إليه، فإن أصبتُ فبتوفيق من الله تعالى، وإن أخطأتُ أو قصّرتُ فمن نفسي، وحسبي أن هذا العمل هو أول بحث أقدمه في هذا الميدان، وأتمنى أن يكون ذلك شفيعاً لي إن أخطأتُ أو ابتعدتُ عن الصواب.

والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات.

التمهيد

مفهوم الحرية

مفهوم الحرية

لقد خلق الله الإنسان حراً، وخلق بني آدم أحراراً، ليسوا بعبيد للعبيد، وهذا هو الأصل فيهم، والله عز وجل أعطى الإنسان إرادة ومشيئة واختيارا، فليس العبد مجبرا على عمل وإنما هو حر في اختياره ومشيئته. وبناء على هذه الحرية في الاختيار والمشيئة، وبناء على هذه الحرية في الاختيار والمشيئة، يحاسبه الله عز وجل، فلو كان العبد مكرهاً مجبراً لا حرية له في الاختيار، فإن الله لا يؤاخذه على أفعاله، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه)[١].

(ان الحرية في الإسلام تنطلق في مفهومها من قيمة الإنسان بوصفه كائناً يملك الوعي كما عبر عنها القرآن المجيد في السمع والبصر والفؤاد، وكما جسد الله حالة الحرية في شخصية الطائر المحلق في جو السماء)[٢].

فإذا فقد العبد حريته في العمل، ومشيئته في الاختيار فصار مجبراً مكرهاً لا يؤاخذه الله، فيكون الإكراه عذراً له في هذه الحالة فلا يأثم، وأما ما عمله باختياره، وحريته، ومشيئته، فإن الله تعالى يحاسبه عليه، وقد جاء الشرع بتحريم بيع الحر، ومن الكبائر أن يبيع الإنسان حراً فيأكل ثمنه. الحرية هي عبارة عن ملكة الاختيار، أعني القدرة على تحقيق الفعل دون الخضوع لتأثير قوى باطنة سواء أكانت تلك القوى ذات طابع عقلي كالبواعث والمبررات الأهواء)[٣].

واذا تتبعنا مفهوم الحرية في نطاق الدين الإسلامي وجدنا الحرية في الإسلام "تنبع من مفهوم الإسلام للحرية الذي يقوم على تحرير العقل الإنساني من قيد الوثنية والجهل والخرافة والتقليد، وتحرير النفس الإنسانية من الاستعباد، والإذلال، والفقر، ولا يقر الإسلام مفهوم الحرية بمعنى الإباحة المطلقة والانطلاق، وينكر الإسلام إطلاق الشهوات"[٤].

واذا انتقلنا إلى الشعر وجدنا أن بعض النقاد والباحثين لم يقف عند تصور الإسلام للحرية، فأطلقها إلى درجة السماح للشاعر بالاعتداء على حقوق الآخرين وأعراضهم، فإذا منع من ذلك فقد خسر حريته، وقال داود سلوم: "وخسر الشاعر في الإسلام حريته الفردية باعتناقه العقيدة الجديدة، وقد

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني: ٣٥٨، رقم الحديث: ١٧٣١.

(٢) مشكلة الحرية، الدكتور زكريا ابراهيم: ١٧.

(٣) حرية الإنسان في الإسلام، محمد أبو القاسم حاج حمد: ٤٩.

(٤) مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، الدكتور سليم ناصر بركات:

عوضه الإسلام عن ذلك حماية الدولة له، ورعايته والحفاظ على ماله ودمه، ولكنها في الوقت نفسه ألقت عليه كما ألقت على غيره من المسلمين تبعات اجتماعية ثقيلة، وطالبته بكتم عواطفه وغرائزه، وإخضاع سلوكه العاطفي لمنطلق العقل الجاد، ولعل المواطن المسلم غير الشاعر كان أسعد حظاً، فهو لا يشعر بأنه مكره على السكوت، حيث يجب أن يقول. وأسعد من الاثنين الشاعر المسيحي واليهودي من حيث حقهما في التسيّب العاطفي والسلوكي، إنه اشترى حريته الفكرية، بدفع الجزية وأبيح له القول كما يشاء ضمن حياته الخاصة وبيئته المنعزلة، فإذا حاولنا الوقوف على مفهوم هذه الحرية التي خسرها الشاعر نجد أن مفهومها كما يبدو هو إعطاء الحق للشاعر في الخوض اخطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جلد شاعره حسان بن ثابت، الذي وقع في مأزق (حديث الإفك) أي أن النبي صلى الله عليه وسلم، نهى عن الوقوع في أعراض الناس، وإهانة كرامتهم، سواء كان في الشعر او في الأقوال"[1].

وهكذا نجد أن الحرية التي أعطاها الله للانسان أعطاه اياها ليختار ما يشاء من هذه المباحات، فيأكل ما يشاء، ويتنقل حيث يشاء، يمتهن ما يشاء من المهن، ويعمل ما يشاء من الاعمال، وكذلك يبيع ما يشاء، ويشتري ما يشاء، ويستأجر ما يشاء، ويؤجر ما يشاء من سائر التصرفات، وهذه الحرية، وهذا الاختيار أيضا نجده للذكر والانثى، فالإنسان يختار من يشاء، وكذلك المرأة ترضى بمن تشاء، فمن شاءت وافقت على الزواج منه، ومن شاءت أن تأبى الزواج منه ولها الحرية في ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تُنكح البكر حتى تُستأذن، قالوا: كيف إذنها؟ قال: أن تسكت)[2].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ **وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ** ﴾[3].

وهذه الحريات التي أعطاها الله للبشر ثابتة، ومقررة، وهي من العيش الكريم، وغصب الإنسان على أكلة لا يريدها، أو زيجة لا يريدها ظلم، وجاء الإسلام بحرية الابتكار، فهذا الإنسان مسموح له أن يكتشف، وأن يخترع، وأن يركب، وأن يصنع، إنها أشياء مفتوحة بحرية الناس، إنه حر أن يتكلم بما في نفسه، وأن يعبر عن رأيه، وهكذا وجوه الحرية كثيرة، هو ونحن (نؤمن إيماناً تاماً بأن الإسلام، أي إسلام القرآن والصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يأخذ بمبدأ الاعتقاد والفكر على إطلاقه.

وشاهدنا ومستندنا في هذه الدعوى أمران:

---

(١) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام ـ دراسة فكرية فنية، أطروحة تقدم بها علي كمال الدين الفهادي لنيل درجة الدكتوراه في كلية الآداب، جامعة الموصل: ٤٢.

(٢) رواه البخاري: ٦٩٧٠.

(٣) سورة النساء: ١٩.

الأول: نصوص الآيات في القرآن الكريم، والمواقف التي وقفها الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثاني: طبيعة الأشياء التي يأخذ بها القرآن ويطلق عليها "سنة الله "[١].

وهنا نجد أن "آيات حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام فقد تبلغ آيات كثيرة كلها تقرر أن من آمن فلنفسه، ومن كفر فعليها، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأنه لا إكراه في الدين، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الداعي إلى الإسلام ليس له إلاَّ البلاغ، ولكنه ليس حفيظا ولا مسيطرا ولا جبارا ولا حتى وكيلا عن الناس، وأنه لا يهدي من يحب، إنما يهدي الله من يشاء، وأن ليس للرسول أن يبخع نفسه أمام من لم يؤمنوا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [٢] أما الاختلاف فحكمه إلى الله قال تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [٣] "[٤].

وهذا ما يثبت أن قضية وجود الحرية الفكرية في الإسلام "لا تتطلب عناء؛ لأنها تكاد تكون من البديهات، فالأديان ما دامت تقوم على الإيمان، والإقناع العقلي، فإنها تفترض مقدماً وجود الحرية، فلا إيمان دون اقتناع، ولا اقتناع دون تفكير، ولا تفكير دون حرية، ولهذا حق للقرآن أن يستنكر، قال تعالى: ﴿ **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾، وصرح بالمبدأ في قوله تعالى: ﴿ **لا إِكْراهَ فِي الدِّيْنِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ** ﴾ [٥].

واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن (الأعمال بالنيات) كما قرر الفقهاء أن "النية" شرط لسلامة الشعائر وهذه كلها، أعني النية والإيمان تتنافى مع وجود أي صورة من الصور الضغط والإكراه ومن ثم تفترض وجود الحرية "[٦]، في النهاية يتضح لنا أن الإسلام أعطى البشر حرية كاملة، لكن هذه الحرية يجب أن يراعي فيها حرية الآخرين، لا أن يتجاوزها الشاعر، ويحاول لاستغلال ذلك المقدرة الشعرية لديه؛ كي يرهب بها الناس، ويجعلهم طائعين ماثلين لأوامره الداعية إلى أخذ المال وإفساد الناس، وهذا يبين لنا أهمية الشعر في العصر الجاهلي، وكان لا بد للإسلام أن يحد من مكانة الشعر، وربط الناس بين هذا التحديد وبيان مكانة الشعر بعدم إعطاء الحرية للشعراء.

---

(١) الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة: ٦.

(٢) سورة يونس: ٩٩.

(٣) سورة الشورى: ١٠.

(٤) الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا: ٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٦) الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا: ٦-٧.

المبحث الأول

الشعر قبل الإسلام وبعده

المحور الأول
أهمية الشعر قبل الإسلام

ارتبط الشعر عند العرب بالشعور والمعرفة والإدراك لما خفي من الأمور، فقد جاء في المعاجم اللغوية أن الشعر هو العلم: يقولون: ليت شعري؛ أي: ليتني علمت. ويقولون: أشعره الأمر؛ أي: أعلمه إياه. ويقولون: استشعر فلان إذا أضمره.

وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، وإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ أو ابتداعه، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، وهكذا توحي اشتقاقات المادة الأصلية بدلالات تتصل بالمعرفة، ولا سيما المعرفة عن طريق الحدس.

وقد أشار المعجميون إلى ما يشبه القرابة الدلالية بين الفعل (شعر) وبين المعرفه بالحدس.

كانت الحياة العربية قبل الإسلام تقوم على (نظام القبيلة) التي كانت تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد اقتضى هذا النظام القبلي من ينطق باسمه ويحميه، فكان الشاعر هو الذي يسجل مآثر قومه، ويذيع مفاخرهم، وينشر محامدهم، ويخوف أعداءهم، ويخذل خصومهم. ومن هنا كانت أهمية الشاعر الذي يعبر عن وجهات نظرهم بأسلوب شعري، تتناقله الرواة، وتحفظه الحداة، وضرورة شعره للحياة العربية آنذاك، بحيث صارت القبائل يهنئ بعضها بعضاً إذا نبغ بينهم شاعر، وكانوا لا يهنئون إلا بثلاث: (غلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج)، ومعروف أن هذه الثلاثة كانت مصادر قوة الحياة العربية. قال ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"(١).

وهذا يبين درة اهتمام القبائل بالشعراء، وأهمية هذا الفن القولي في عصر ما قبل الإسلام، والأدلة كثيرة في التراث على دور الشعر جرياتها.

وكان الشاعر عند العرب هو الذي تنتقل اليه المعرفة عن طريق الإلهام، وقد أشار الشعراء الجاهليون إلى استمدادهم الشعر من الجن، ويرتبط هذا التصور بالعادات الغريبة المتصلة بنظم الشعر، فالشعراء حرصاً منهم على الجودة والتفرد، يفضلون نظم الشعر ليلاً، وتختلف مواهبهم الفنية،

(١) الإسلام والشعر، دكتور سامي مكي العاني، عالم المعرفة: ٧.

وقدرتهم على قول الشعر من وقت إلى آخر، فقد تداهمهم هذه الموهبه حيناً، وتنقطع عنهم أحياناً كثيرة؛ فيصبح نظم بيت من الشعر أمراً شاقاً. وهكذا دخل في وهم كثير منهم أن الشعر يأتيهم من مصدر خفي، وأن هناك شياطين تمدهم بما يقولون، حتى ليفتخر الشاعر بأن شيطانه ذكر، وشياطين غيره من الشعراء من الإناث.

قال أبو النجم العجلي[1]:

إِنِّـي وَكُـلَّ شَـاعِـرٍ مِـنَ الـبَـشَـرْ شَـيْطانُـهُ أُنْـثَـى وَشَـيْطـانِي ذَكَـرْ

من أجل ذلك اختلط في أذهان العرب قبل الإسلام أمر الشاعر والساحر والكاهن؛ لأنهم جميعاً ينتمون في تصورهم إلى عالم الظلام الغامض، حيث تقف وراء كل منهم قوة خفية تمده وتعينه. وكان الناس يخافون من الشعراء، وارتبطت فكرة وجود شياطين للشعراء بأذهان الناس، وكيف أن الشعراء لا يخافون من الشياطين، وأن لكل واحد منهم شيطانه الخاص، وأن بعضاً منهم تزوج الغول، وأنجبت له أولاداً، وهذا ما اعتقدت به العقيدة العربية، وكان من تداعيات هذا الاعتقاد بروز الشعراء، وجعلهم من عليا القوم، واستغل الشعراء هذا الاعتقاد كي يتكسبوا من ورائه ويخيفوا الناس، وهذا ما نهى الإسلام عنه، كما أن القرآن هجنه.

بل إننا نجد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن بعض العرب كانوا يعبدون الجن، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [2].

ويمكننا أن نستدل على هذه الحقيقة –حقيقة عبادة العرب للجن– إلى جانب الآية القرآنية، بدليل ثان، هو (عبد الله بن حارث السهمي) أحد الشعراء المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة في بدء الدعوة الإسلامية، حيث قال يصف حال المهاجرين المضطربة بعد طردهم من مكة:

نَفَـتْـهُمْ عِبَادُ الـجِنِّ مِنْ حُـرِّ أَرْضِـهِـمْ فَـأَضْحَوْا عَـلَى أَمْـرٍ شَـدِيدِ الـبَـلابِلِ

وقد كان من الشائع في ثقافة عرب الجاهلية ارتباط الشعراء والكهان بالجن والشياطين، إذ كانت تانك الطائفتان من الناس، الشعراء والكهان، على درجة عالية من البلاغة والفصاحة، والقدرة على التأثير النفسي، كما كان الشاعر أو الكاهن من النوعيات النادرة الوجود، فقد نقلت إلينا كتب التراث أن القبيلة كانت تحتفل احتفالاً كبيراً حين يولد فيها شاعر. وليست الولادة هنا ولادة بيولوجية، بل المقصود حين تكتشف الموهبة عند فرد من أفرادها. ذلك أن الشعر كان لسان العرب، وكان وسيلتهم الإعلامية،

---

[1] كتاب الحيوان: ١/٣٠٠.

(٢) سورة سبأ: ٤٠-٤١..

كما كان سلاحاً من أسلحة الحياة البدوية. كل ذلك فضلاً عَمّا يتميز به الشاعر أو الكاهن من استعداد فطري، وطباع مخالفة للعادة بما تهدأ في طبعه من غرابة الأطوار، ورهافة الحس، والميل إلى التأمل والشرود.

يذهب بعض ممن تحدث عن الشعر في صدر الإسلام إلى القول بضعف هذا الشعر؛ لأن الإسلام هجنه، كما أن القرآن بغضه إلى المسلمين، والقائلون بهذا يستندون في جملة ما يستندون إليه للاستدلال على صحة نظرهم، وصدق رأيهم إلى أن القرآن الكريم صرح بتهجين الشعر، وذم الشعراء(١).

في قوله تعالى: ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾ (٢).

ومن ذلك ما يروى "أن الحطيئة قدم المدينة، فوقف إلى عتبة بن النهاش العجلي، فقال: أعطني فقال: ما لك عندي فأعطيكه، وما في مالي فضل عن عيالي فأعود به عليك. فخرج عنه مغضباً. وعرفه به جلساؤه، فأمر برده، ثم قال له: يا هذا إنك وقفت إلينا فلم تستأنس ولم تسلم، وكتمتنا نفسك كأنك الحطيئة؟ قال: هو ذاك. قال: اجلس، فلك عندنا كل ما تحب، فجلس، فقال له: من أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ، وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يعني زهيراً. قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وَسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

يعني عبيداً. قال: ثم من؟ قال: أنا. فقال لوكيله: خذ بيد هذا، فامض به إلى السوق، فلا يشيرن إلى شيء إلاَّ اشتريته له.

ثم أنشأ يقول:

سُئِلْتَ فَلَمْ تَبْخَلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلاً ... فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْكَ وَلا حَمْدُ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ لا الجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... فَتُعْطِي وَقَدْ يُعْدِي عَلَى النَّائِلِ الوَجْدُ

إن عتبة بعد أن عرف الحطيئة تودد له، واعتذر منه، والشاعر متسلط مغضب يترفع عن الإجابة (هو ذاك) وحينما يسأله عن أشعر الناس يجيب ببيت كله تهديد ووعيد وتعريض بعرض، وتهيؤ لشتمه، إذا لم يقدم المال والعطاء"(٣).

---

(١) انظر مثلاً: تاريخ الأدب العربي، السباعي: ٢١٣، وتاريخ آداب اللغة العربية، زيدان: ١٨١/١.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧.

(٣) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام ـ دراسة فكرية فنية: ٤٤.

هذا كان حال العرب قبل الإسلام. وقال ابن سلام: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون"(١)، ويؤكد ابن قتيبة مهمة الشعر عند العرب حين قال: وللعرب الشعر الذي أقامه الله مُقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرثُّ على الدهر، ولا يبيد على مرّ الزمان، وحرسه بالوزن، والقوافي وحسن النظم، وجودَة التَّحْبير من التدليس والتغيير"(٢). وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام، يقولون فيرضى قولهم، ويحكمون فيمضي حكمهم، وصار ذلك فيهم سنة يُقتدَى بها، وآثار يحتذي عليها"(٣).

إلى جانب ذلك كانوا "يخافون لسان الشاعر ويتحامون هجاءه، ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسب به الأحياء والأموات، أنهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شَدُّوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث بن صلاءة الحارثي، حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب فقال(٤):

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه، ففعلوا، فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومه هذا الشعر، قال قيس: لبيك، وإن كنت أخرتني.

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء، وهذا من أول كرمها، كما بكى مخارق بن شهاب، وكما بكى علقمة بن عُلاثة، وكما بكى عبد الله بن جدعان من بيت لخِداش بن زهير.

ونهوا عن أن يتعرض أحد لشاعر خشية لسانه، وقالوا: لا ينبغي لعاقل أن يتعرض لشاعر، فربما كلمة جرت على لسانه، فصارت مثلاً آخر الأبد"(٥).

وحرية الأديب في ظل هذا التوجيه حرية ملتزمة بالحدود التي يرسمها الإسلام للمجتمع، وبالقوانين التي تحكمه، وبالخلق الذي ينبغي أن يسوده، فانضباط الفرد بذلك ضمان لحريته وصون لكرامته، فالحرية بهذا الفهم عطاء وأخذ، إفادة وانتفاع، أداء الطلب، وهي بهذا الحد مثالية متفردة؛ لأنها ليست من صنع الخلق، بل منحة ورحمة من خالق الخلق(٦).

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي: ٢٤/١.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ١٧-١٨.

(٣) الإسلام والشعر، د. سامي مكي العاني، عالم المعرفة: ٨٨.

(٤) كتاب الأغاني: ٢٢٨/١٦.

(٥) الإسلام والشعر، الدكتور سامي مكي العاني: ٩.

(٦) مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد: الدكتور أحمد الرفاعي الشرفي، دار ابن حزم: ٢١٣.

لما جاء الإسلام وكانت العرب على هذه المعتقدات، أراد "وضع حد لتصرف الشعراء الذين أرادوا ابتزاز أموال الناس وتهديدهم بالهجاء والتعريض والتشهير، يوضح لنا رهبة الناس من لسان الشاعر، رهبة دون ذنب أو جريرة سوى ذلك الحق (الجائر) الذي أعطاه بعضهم للشعراء تحت ستار الحرية في العصر الحديث وتحت ستار الجن والشياطين قبل الإسلام"(١).

وقد بقي أثر الشعر قوياً في نفوس العرب حتى بعد ظهور الإسلام، فهو يهز نفوسهم هزاً؛ ولذلك درج كثير من الشعراء بعد ظهور الإسلام، بأكثر من قرن من الزمان، على أن يقرنوا الشعر بالسّحر والرقى، كقول ابن سكرة(٢):

وَالـشِّـعْـرُ نَـارٌ بِـلا دُخَـانٍ ... وَلِـلْـقَـوافِـي رُقًـى لَطِـيفَـهْ
كَـمْ مِـنْ ثَـقِيلِ الـمَحَـلّ سَامٍ ... هَـوَتْ بِـهِ أَحْـرُفٌ خَـفِـيفَـهْ
لَوْ هُجِيَ الـمِسْـكَ وَهْـوَ أَهْـلٌ ... لِـكُـلِّ مَـدْحٍ لَـصَـارَ جِـيـفَـهْ

ويصف أبو تمام نفسه بأنه ساحر نظم(٣):

سَاحِـرِ نَـظْمٍ سِحْـرَ الـبَـيَـاضِ مِنَ الـ ... أَلْـوَانِ سَـائِـبِـهِ خَـبِّـهِ خَـدِعِـهْ

وسحر المتنبي فاق سحر بابل(٤):

مَـا نَـالَ أَهْـلُ الـجَـاهِـلِـيَّـةِ كُـلُّـهُـمْ ... شِـعْـرِي وَلا سَـمِعَتْ بِسِحْـرِيَ بَـابِـلُ

وينبه الجاحظ في البيان والتبيين إلى مكانة الشاعر عند العرب، فيشير إلى أن الشاعر كان في القديم أرفع قدراً من الخطيب؛ لأنهم إليه أحوج لنشر مآثرهم وتذكيرهم بأيامهم. ولا شك في أن الربط بين الشعر والسحر بعد ظهور الإسلام لا يعني بحال الإشارة إلى الطاقات السحرية المتصلة بالجن والشياطين، وإنما هو تأكيد قدرة الشاعر على الاستحواذ على أسماع السامعين، وأن شعره على غير مثال، ويستعصي نظمه على الآخرين.

لقد سُئِلَ بعض أهل الأدب: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: من أكرهك شعره على هجو ذويك، ومدح أعاديك، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة، وهذا ما عناه أبو تمام بقوله(٥):

فَإِنْ أَنَـا لَـمْ يَـمْدَحْـكَ عَنِّـيَ صاغِـرَاً ... عَـدُوُّكَ فَـاعْـلَمْ أَنَّـنِـي غَـيْـرُ حَـامِدِ

وقول أبي الطيب المتنبي في المعنى نفسه:

وَأَسْـمَعُ مِـنْ أَلْـفَاظِـهِ اللُّـغَـةَ الَّـتِـي ... يَلَذُّ بِـها سَـمْعِي وَلَوْ ضُمِّـنَتْ شَـتْمِي

---

(١) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام، دراسة فكرية فنية: ٤٤.
(٢) وفيات الأعيان: ٤١٢/٤.
(٣) شرح ديوان أبي تمام: ٣٨٩/٢.
(٤) شرح ديوان المتنبي: ٣٧٦/٣.
(٥) شرح ديوان أبي تمام: ٥٠٥/١.

يقترن الشعر بالسحر من حيث قدرة الشاعر على تغيير طبائع الأشياء، من خلال مفهوم التحسين والتقبيح، وقد أشار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى هذا المفهوم بقوله الكريم: (إن من البيان لسحراً)، ويروي ابن رشيق القيرواني، صاحب كتاب (العمدة)، قول عمرو بن الأهتم وهو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سأله عن الزبرقان بن بدر، فأثنى خيراً عليه مرة، وذمّه مرة ثانية، وقال: والله يا رسول الله ما كذبت عليه في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة، ولكن أرضاني فقلت بالرضا، وأسخطني فقلت بالسخط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحراً)، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وكأن المعنى – والله أعلم – أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان فيَصدُق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه فيصدق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه سحر السامعين بذلك[1].

كان هذا هو حال الشعر وأهميته قبل الإسلام؛ ولهذا نتعرض في المحور الثاني إلى ما يتعلق بالإسلام والشعر وموقفه من الشعراء.

[1] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/٢٤٨-٢٤٩.

المحور الثاني
تأثير الإسلام في أغراض الشعر

لو عددت الأحداث العظام في تأريخ العرب القديم لوجدت ظهور الإسلام أرفعها شأناً، وأنصعها لوناً، وأعمقها تأثيراً في هذا التاريخ؛ ولهذا لم يكن من المستغرب أن ينشر هذا الدين أفكاره، وأن يبث آثاره في كل جانب من جوانب الحياة المادية والمعنوية. وأغراض الشعر تأتي في طليعة الجوانب الفكرية التي تأثرت بالإسلام، لا لأن الشعر هو الفن الأدبي الأول الذي كان العرب يعبرون به عن أفكارهم ومشاعرهم وحسب، بل لأنه كذلك أسرع الفنون الأدبية استجابة لما يعرو الواقع من تغيّر وتطور، وأقدرها على البوح بالعواطف، وألصقها بالنفس العربية الطروب.

ظهر الإسلام، وظهر معه الدستور الإلهي، وكان لا بد له من أن يتعرض للشعر الذي نبغ فيه العرب نبوغاً، وأبدعوا فيه إبداعاً، فبعد أن واجههم بالقرآن وبلاغته، كان لا بد له من أن يميلهم إلى القرآن كي يهتموا به، ويقفوا على مكنوناته، ولهذا ورد في هذه الآية ذم الشعر والشعراء، ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾"[1]، فالمقصود بها شعراء المشركين الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينالون صحابته بالأذى، بدليل الاستثناء بعد ذلك: (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)، والمراد بهم: شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين انتصروا له وللإسلام، وأجابوا شعراء المشركين عنه.

هذا تكذيب للمشركين الذين زعموا أن القرآن شعر. والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة يس: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** ﴾[2]، فالحديث عن القرآن، ونفي الشعر عن النبي صلى الله عليه وسلم نفي للشعر عن القرآن؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعراً، فما حال أن يكون القرآن الذي جاء به شعراً.

والالتزام الذي يجعل الأديب منطلقاً من حريته المسؤولة هو الذي يجعله مجاهداً في صفوف المجاهدين، وعاملاً من أجل تغيير البنية المادية والنفسية للأمة، وفرق بين الالتزام والالتزام، فالالتزام ارتباط حر بقضايا المصير، وفعالية في تطور المجتمع، وإسهام في أداء الأمة مسؤولياتها، فهو داعية

---

(١) الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة: للدكتور غازي طليمات :١٤٣.

(٢) سورة يس: ٦٩.

إلى التضامن والتكاتف والوحدة، رافض لأنواع القهر والاستبداد والاستغلال، قائد الأمة إلى أهدافها الرئيسية في الحياة؛ لأن الالتزام أيضاً حالة اختيارية، فإنه ضد القسر والالتزام، وهذا يقتضي أن يترفع الأدب عن تقديم قصائد الشعر المتخمة بالمبالغة والكذب والثناء والإطراء في بلاط الملوك والأمراء والساسة والرؤساء؛ لأن فيها امتهاناً لدور الأدب، وإذلالاً لمكانته، كما أن قسر الشعراء على كتابة الأناشيد والقصائد التي تمجد الديمقراطية الزائفة، والشيوعية الماكرة ليردد ذلك العمال والفلاحون، يعد أدنى أنواع الاضطهاد للأدب والأدباء والمفكرين(١).

وأما قوله تعالى في سورة يس: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** ﴾ فذكر العلماء أن الله تعالى منع نبيه من قول الشعر، حتى لا يشتبه القرآن بالشعر، وحتى لا يجد الطاعنون مجالاً للطعن حين يسمعون القرآن فهذا المنع – كما يقول عبد القاهر – ليس منع تنزيه أو كراهة، وإلاّ لكان ينبغي له أن ينزه سمعه عن كلامهم الموزون كما نزه لسانه، بل هذا المنع لأمر يتعلق بالمعجزة. هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد استمع إلى الشعر، وأثنى عليه، وردد بعضه.

قال الدكتور ابراهيم الخولي: لقد صُرِفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر بقدر إلهي (وما علمناه الشعر)، بحيث لو أراد ما تسهل له، (وما ينبغي له)، مع أنه صلى الله عليه وسلم، لم يكن عاجزاً عن قول الشعر، بل كانت الأداة فيه تامة كاملة، ولو قال الشعر لكان مبرزاً فيه، بل كان أشعر الخلق على الإطلاق، كيف لا وقد أوتي جوامع الكلم، وروائع البيان، وكان أفصح العرب لساناً، وأقومهم بياناً. وأما الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الشعر: (لأن يمتلئ جَوْفُ أحدكم قَيْحَاً يريه خير له من أن يمتلئ شعرا)(٢).

فقد حمله الشافعي –رحمه الله– على الشعر المشتمل على الفحش. وهذا أحد الأجوبة. وهناك جواب ثان: وهو أن أكثر العلماء حملوا الوعيد على ما إذا غلب عليه الشعر، وملك نفسه، حتى اشتغل به عن القرآن والفقه في الدين ونحوهما، ولذلك ذكر الامتلاء. ويوضح صاحب نقد النثر" هذا الجواب فيقول: إن المعقول من معنى "الامتلاء" أن يشغل المالئ بشيء جميع أجزائه، حتى لا يكون فيها فضل لغيره، وإن كان هذا هكذا، فإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول من امتلأ جوفه من الشعر حتى لا يكون فيه موضع للذكر، ولا لحفظ القرآن، ولا لعلم الشرائع والأحكام والسنة في الحلال والحرام. إذن يمكن أن نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكره الشعر، بل كان يحب أن يستمع إليه، ويطلب من أصحابه أن ينشدوه، فقد ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال:

---

(١) مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، الدكتور أحمد الرفاعي شرفي : ١٧٤/٢.

(٢) رواه البخاري في باب الأدب، ومسلم في باب الشعر.

"كُنّا يوماً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال لحسان بن ثابت: أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته، فأنشده قصيدة للأعشى"(١).

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "دخل علي رسول الله وأنا أتمثل بهذين البيتين:

إِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ العَواقِبُ قَدْ نَمَا

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال: (ردي علي قول اليهودي قاتله الله، لقد أتاني جبريلُ برسالة من ربّي، أيُّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجِد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه)"(٢)

وقد أخرج البخاري في (الأدب المفرد) "عن عمرو بن الشريد عن أبيه أنه قال: أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل مَعَكَ من شعر أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ؟ قلتُ: نعم؛ فأنشدته بيتاً، فقال: (هِيهِ)، حتى أنشدته مِائةَ بَيْتٍ"(٣).

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه "مر بحسان بن ثابت، وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال منكراً عليه: أرُغَاءٌ كرغاء البكر؟ فقال حسان: دعني عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، فما يغير عليَّ ذلك، فقال عمر: صدقت"(٤).

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبة، فمرّ رجل وهو يقول:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... أَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمِ ... مَنَعُوكَ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ إِقْتارِ

قال: فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال: (أهكذا قال الشاعر)؟ قال: لا والذي بعثك بالحق، لكنه قال:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... أَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ

هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمِ ... مَنَعُوكَ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ إِقْرافِ

الخالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ ... حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالكَافِي

وَيُكَلِّلُونَ جِفانَهُمْ بِسَدِيفِهِمْ ... حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٩.

(٢) الأغاني: ٣/٨٠-٨١.

(٣) الأدب المفرد: ٢٧٨.

(٤) العمدة: ١/٢٨.

مِـنْـهُـمْ عَـلِيٌّ وَالـنَّـبِـيُّ مُـحَـمَّـدٌ الـقَـائِـلانِ هَـلُـمَّ لِـلأَضْـيـافِ

قال: فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (هكذا سمعت الرّواة ينشدونه)"[1].

وعلى النقيض من هذا كله، فإن بعض الأقوام كرهوا الشعر، وبالغوا في كراهيته، حتى حَكِيَ عن بعض الزهاد، أنه كان لا يتمثل ببيت شعر، ولما سُئل عن ذلك قال: لا أحب أن أرى في صحيفتي يوم القيامة بيت شعر. واستشهدوا على ذلك بحديث عجيب هو: من قرض بيت شعر بعد العشاء لم تقبل له صلاة تلك الليلة.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره معلقاً على هذا الحديث: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة... على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحة، وأمثالهم وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي الله صلى الله عليه وسلم: (آمن شعره وكفر قلبه). وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت، يقول عقب كل بيت: (هيه). يعني يستطعمه، فيزيده من ذلك"[2].

احتاجت أوامر الدين ونواهيه إلى الحث على الالتزام بها وتنفيذها، فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد، وقد حاول شعراء صدر الإسلام الإفادة من فنهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا إليها القرآن بمثل قوله: ﴿ **وَمَا أُدْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ** ﴾[3]، وأكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (الدِّيْنُ النَّصِيحَةُ)[4].

وأورد الأديب الأريب مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) قولاً نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو: (لمّا نشأت بُغِّضت إِلَيَّ الأوثان، وبُغِّضَ إليَّ الشعر). وهو قول لا أصل له، ولا سند. ولعل السبب في كراهيتهم للشعر راجع إلى ما ورد في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية من ذم للشعر، ثم موقف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه من الشعر. والواقع أن الشعر كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: الشعر كلام، فحَسَنُه حسن، ورديئه رديء، فَخُذِ الحَسَنَ، واترك الردئ. فإذا ذُمَّ وجب أن نبحث عن وجه الذم، لذلك وضع الشيخ عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) ثلاثة أوجه لذم الشعر، وهي:

---

(١) كتاب الأمالي: ٢٨٩-٢٩٠، وينظر: دلائل الإعجاز: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٥٧٦-١٥٧٧.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) الإسلام والشعر، الدكتور سامي مكي العاني: ٦٩.

الأول: أن يُذَمَّ الشعر من حيث المضمون؛ أي من حيث ما يتضمنه من فُحْشٍ ونُبُوٍّ عَمَّا تقتضيه الأخلاق.

الثاني: أن يُذَمَّ من حيث الوزن والقافية، وهذه ناحية صناعية.

الثالث: أن يُذَمَّ لاعتبارات تتصل بالشاعر.

ولعل السبب الحقيقي لاهتمام القرآن بنفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، هو ما كان قائماً في أذهان العرب حينئذ من ارتباط بين الشعر والجن، فقد آمن العرب إيماناً راسخاً بأن لكل شاعر شيطاناً يوحي إليه ما يقول، فقال قائلهم[1]:

إِنِّي وَكُلَّ شَاعِرٍ مِنَ البَشَرْ شَيْطانُهُ أُنْثَى وَشَيْطانِي ذَكَرْ

وحين جاء الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى العرب بدعوته الجديدة، كانوا قبل الجهر بها يلاحظون على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مخالفته لعقائدهم الوثنية، وميله إلى العزلة وانقطاعه الدائم عن لهوهم وعبثهم، وعكوفه المتصل على التأمل والوحدة في غار حراء، فلما فاجأهم بدعوته إياهم إلى ترك ما كان يعبد آباؤهم، وعبادة إله واحد ليس من جنس آلهتهم، كان ذلك شديد الوقع على نفوسهم، وكانت هذه صدمة خاطفة لعقائدهم، فلم يملكوا إلاَّ أن يتهموا النبي محمداً صلى الله وعليه وعلى آله وسلم بالمروق عن العادة، ومجاوزة المألوف، والتحدث بالأمور الغريبة التي يتحدث بها عادة الكهان أو الشعراء أو السحرة.

وهذه الفئات الثلاث ترتبط بالجن والشياطين؛ ولذلك كان نفي تهمة السحر والكهانة والشعر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجهاً من وجوه إثبات النبوة، ولنقرأ الآيات التي ورد فيها النعي على بعض الشعراء في سياقها العام، ولنلاحظ أن سورة الشعراء سورة مكية: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۞ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾[2]، فالسياق العام للآيات يدعو إلى التشنيع بالكذب، والتهمة الموجهة إلى الشعراء أنفسهم في الآيات هي الكذب (يقولون ما لا يفعلون)، وبذلك استحقوا التشبيه بمن ورد ذكره قبلهم من الكهنة أولياء الشياطين بعد أن تتسمع إلى الملأ الأعلى فتوحي إليهم بعض ما استمعت إليه على ما ذهب إليه الإمام الزمخشري.

---

(١) هو أبو النجم العجلي، وقد مرّ هذا البيت في المبحث الأول.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٧.

واذا نظرنا إلى الآيات من منظور لغوي، لم نبعد كثيراً من هذا الفهم، فليس بعيداً أن يكون قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون)، في موضع العطف بالواو من باب عطف الجمل، أو أن تكون الواو للقطع والاستئناف، ويكون التقدير: وكذلك (الشعراء يتبعون الغاوون).

وفي ظل هذين الاحتمالين يظل الربط بين الشعراء ومن قبلهم (كل أفاك أثيم) قائماً من وجهين:

الأول: الكذب، والثاني: التلقي عن الشياطين. ومن هنا يتضح لنا أن اهتمام القرآن الكريم بنفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان مرجعه إلى ما رسخ في أذهان عرب الجاهلية من علاقة ارتباط بين الشعر – كالكهانة والسحر – والشياطين، ويتصل بهذا أن ما توحي به الشياطين يغلب عليه الكذب والدجل، وما يتفوه به الشعراء يغلب عليه التهويم والخيال، وليس هذا شأن الأنبياء ولا شأن القرآن العظيم.

الإسلام دين ودولة، وهو دين الفطرة السليمة السوية، يقوم على أسس ومبادئ هدفها خير الإنسان، وهو بمبادئه القويمة الهادية وفضائله، يساعد الإنسان على أن يعيش في مجتمع فاضل متكافل حر كريم، تسودهُ العزة والرفاهية والكرامة والحب والخير، وهو يحبذ كل ما يساعد على تحقيق هذا الهدف، ويحارب كل ما يهدد هذا البناء الاجتماعي الإنساني الفاضل، ولا يمكن أن يقف الإسلام –وهو دين الفطرة– في وجه الشعر، ومقدرة التعبير الجميل لدى الإنسان، إذ الشعر لون من التعبير الفني الذي لازم الإنسان في مراحل تطوره، فهو نشاط إنساني، لا يُوأد ويُقتل، أو يُجهض أو يُكبت، ولكن يُقوَّم ويُسدَّد ويُوجَّه، ولمَّا كان الإنسان مزوداً بمجموعة من الغرائز والدوافع التي تساعد على حفظ دوافع النوع الإنساني، ولما كانت هذه الغرائز، وتلك الدوافع معرضة للانحراف، وبالتالي انحراف الإنسان عن طبعه السوي، وانحراف ما يصدر عنه من سلوك أو تعبير، لا يقف أثره عنده، بل يتعداه إلى غيره، كان لا بد للإسلام من أن يوجه ويهدي ويسد الخطأ. ولما كان الشعر فناً تعبيرياً جميلاً مؤثراً، له دوره في الإقناع وفي الإقبال على الشيء عن طريق التصوير المؤثر، ولمّا كان له دوره الذي لا يُنكَر في تعبئة المشاعر وتحميس النفوس، وإثارة العواطف، وبالتالي تحريك الأفراد والمجتمعات، ما كان للإسلام أن يتجاهله أو يغفل دوره، بل يوجهه ويرسم له الطريق السليم، القويم الواضح، مع التسليم بحاجة الإنسان إلى التعبير عما في نفسه، والتسليم بطبيعة الإنسان الذي حاول أن يوازن بين حقه باعتباره فرداً حراً، وبين واجبه، باعتباره جزءاً من جماعة لها أعباؤها ومسؤوليتها، على أن للقضية جانباً آخر، وهو أن القرآن وهو يشرع لحياة المسلمين، ما كان لينهاهم عن فن هو من المباحات، ولو صح ما استنتجه بعض المتحذلقين من فهم سقيم لمدلول هذه الآيات، لأصبح الشعر حراماً، أو في حكم الحرام، وليس كذلك، فإن الإسلام يحارب الشعر الذي يساعد على الانحراف وإشاعة الرذيلة، الذي يصدر عن الطبائع غير السوية، ويثير الشهوات، والشعر الذي يصد عن الحق والخير والشرف، وكذلك الذي يقطع الأوصال والأرحام، ويفتت المجتمع المتماسك المؤمن، ويريد

للشعر بجانب ذلك أو قبل ذلك، أن يكون فناً كريماً ملتزماً بقضايا الإنسان النبيل، فناً بَنَّاءً في خدمة الحق والخير والعدل والمبادئ السامية، الشريفة والصادقة، لا ممتهناً، ولا وسيلة كسب أو متاجرة، ويريد له أيضاً أن يكون سلاحاً في يد المؤمنين وأصحاب العقائد السامية، يدافعون به ويتقون كيد ألسنة الأعداء، وطِعان فصاحتهم.

ويريد للشاعر أن يكون حراً مسؤولاً، شريفاً ومناضلاً، عضواً في مجتمع الفضلاء والكرماء، ويريد له كذلك أن يكون مؤمناً صادقاً يعيش ويفعل ما يقول، بحيث تكون مسؤوليته نابعة من قلبه ومن ضميره، وليست محض مجاراة باللسان والقلم، والإسلام بجانب هذا الذي أراده للشعر وللشاعر، من الالتزام بقضايا الحق والعدل والخير، لم ينس العواطف الذاتية الخالصة، والمشاعر الفردية الخاصة، وضرورة التعبير عنها، فالإنسان كما هو ابن الجماعة، يعبر عن مشاعرها، ويدافع عن كيانها وعقائدها، وهو –أيضاً– ابن ذاته، و يعبر عن عواطفه، ويتغنى بمشاعره، بأفراحه وأحزانه، بشرط أن لا تكون تلك العواطف منحرفة تُشِيع الفساد والانحراف في المجتمع، بل لا بد من أن تكون تعبيراً عن عواطف نبيلة في صورة جميلة، في غير خروج أو إسفاف.

ويوضح محمد مصطفى هدارة الحرية الإسلامية للفن بقوله: "وقد يرى بعض الذين يدعون إلى حرية الإبداع في الفن أن القرآن قد وضع قيوداً على الشعر كَبَّلتهُ، فلم ينطلق إلى آفاق رحيبة، بل ظل مقيداً إلى قاعدته الخلقية التي رسمها له. وليس عجيباً أن يضع القرآن حدوداً أخلاقية للشعر والشعراء، بل العجيب ألاَّ يفعل، فغاية الدين الحرية في كل مجالاتها، ولكن ليست على إطلاقها، كما يدعو بعض المتحللين اليوم الذين ينادون بأن يكون الفن طليقاً من كل قيد، فيتسع لأَحَطِّ غرائز الإنسان ونزعاته، بدعوى الواقعية، ولكن الحقيقة التي ينبغي أن تدرك جيداً أن الفن اختيار، وليس من الضروري أن نضاهي كل حركات الواقع لتأكيد معنى حرية الفن"[1].

فتأثير الإسلام في شعر الأعراب ظلّ ضعيفاً في هذه الفترة جميعها التي يطلق عليها اسم فترة المخضرمين، وأمامنا ديوان قبيلة هذيل كاملاً وليس فيه نغمة دينية قوية، حتى من هاجروا منهم إلى الفتوح وشاركوا فيها، أمثال أبي ذؤيب الهذلي الذي غزا مع عبد الله بن أبي سرح في إفريقية لا نجد عندهم تأثيرات واسعة من العقيدة[2].

(١) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام: ٤٣.

(٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي، الدكتور شوقي ضيف: ٢١.

المبحث الثاني

آراء في صنعة الشعر وحريته

المحور الأول

هل أعذب الشعر أكذبه؟

هذه المقولة قيلت في بداية ظهور الإسلام، ومع ظهورها اعتبر الناس أن الإسلام ينهى عن قول الشعر، وأثار مناقشات وكثيراً من الكلام، وانقسم النقاد فيه مذاهب وفرق. وسنتكلم في المسألة هذه في أربعة محاور، تبين لنا الآراء الواردة في هذا الصدد، وهي كالآتي:

المذهب الأول: مذهب المؤيدين لمقولة (أعذب الشعر أكذبه):

ويرى أصحاب هذا المذهب أن هذه المقولة قد أصابت الصميم من الحقيقة، وأنها مقولة حق وصدق، وأن الشعر لا يبهر إلا إذا ترصع بالكذب، وسافر مع الخيال، وأنه كلما أوغل في المبالغة كلما كان أمتع وألذ، لهذا قال بعض الحكماء: لم يُرَ مُتَدَيِّنٌ صادق اللهجة مُفْلِقٌ في شعره. وقالوا: وكل شاعر ترك الكذب، والتزم الصدق، نزل شعرُه، ولم يكن جيداً، ولذلك قيل: أحسن الشعر أكذبه.

المذهب الثاني: مذهب المعارضين لمقولة (أعذب الشعر أكذبه):

أما أصحاب هذا المذهب فيرون أن هذه المقولة أخطات الصواب، ترى ذلك في مقولة عبد الرحمن الميداني: "أما دعوى أعذب الشعر أكذبه) فهي دعوى لا أساس لها من الصّحة لدى التحليل والبحث عن العناصر الجمالية في الأدب. إنّ الحق إذا لبس ثوباً أدبياً جميلاً كان أجمل من الباطل لا محالة، مهما لبس من أثواب جميلة مزخرفة. إنّ الحُلَّة والحِلْية الأدبية اللّتين يرفل بهما قول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ** ﴾ للفكرة الحقّ التي تبين واقع انتصار الحقّ والمُحقّين بعد أحداث الصّراع بين الفريقين، أجمل من كل أدب يزين فكرة باطلة لتكون مقبولة محبّبة. ربّما يكونُ تضخيم الحقّ وتجسيمه في الصورة الأدبية عملاً أدبياً جميلاً، لأن التضخيم والتجسيم في مفاهيم النّاس لون من ألوان البيان والشرح للحقيقة، وبعد الشرح ترجع الحقيقة في تصوُّر النّاس إلى حجمها الطبيعي. إنّ الفكرة المشتملة على كذب سخيف ممجوج قد يستعذبها الذهن لطرافتها، ولكن يمجها الذّوقُ والحِسُّ المرهف العارف بألوان الجمال لسخافتها ومجافاتها للحقيقة مجافاة واسعة المسافة.

في قول المتنبي:

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

وفي قول الآخَر:

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوًى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ

قد نلاحظ فكرة غريبة لا يتصيّدها إلاَّ شاعر ذكي فنعجب بطرافتها، ولكنّنا مع ذلك نمُجُّها، لأنها تشتمل على دعوى كاذبة سخيفة. أمّا حين تكون الفكرة المبتكرة حلوة، وتكون الدَّعوى صادقة في أصلها، مضخّمة مجسّمة مبالغاً بها في صورتها الأدبيّة، فإنّ الكلام يكون حينئذٍ أرفع أدباً، وأعلى كعباً، وأوقع في النّفس.

هَلُمَّ فَلْنَلْحظ اجتماع الصدق والأدب الرفيع في قول الله تعالى في سورة ق: ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾، إن في هذه الآية حلاوة فكرة السؤال والجواب، وحلاوة الجواب الذكي الذي لم يكن مباشرة بصيغة: (لم امتلئ) أو بصيغة (لا) مع كثرة الذين أُلقوا فيها، وإنّما جاء على صيغة سؤال النَّهِم الشَّرِه طالب المزيد: ﴿ **هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾؟!!

وما دام باستطاعة الإنسان أن ينتقي من الحق والصدق عناصر جماليّة لأدبه فما أوفر الحقّ والصدق في بيانات الإسلام أمام الدعاة الى الله، وما عليهم إلاَّ أنْ يغترفوا"[1].

المذهب الثالث: مذهب المفصلين في المسألة:

يُؤْثِر أصحاب هذا المذهب أن يكونوا وسطاً بين طرفين، وحكماً بين خصمين، وهذه بعض أقوالهم التي تعبر عن مذهبهم هذا: قال أحدهم: "وإذا كان النقاد قد انقسموا إلى فئتين: فئة تقول: أحسن الشعر أكذبه، وفئة تقول: أحسن الشعر أصدقه، فإنّ المرزوقي قد أضاف فئة ثالثة تقول: (أحسن الشعر أقصده)، ولعل هذا هو الرأي السليم، إذ لا تعارض بين الصدق من جهة، والغلوّ والمبالغة من جهه أخرى، بل إن الغلوّ في كثير من الأحيان أصدق من الواقعية النموذجية، إلاَّ أن الشعر تميّزَ بأنّ أساسه التأثير بواسطة التخييلات البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ونحو ذلك، ولمّا كان الخيال صورة من صور الكذب قيل: إن أعذب الشعر أكذبه، ولكن ليس ذلك على إطلاقه، فإن العمدة في حسن الشعر وجودته على صدق الشعور، وجمال التعبير، وكم من أبيات اعتبرت من عيون الشعر بينما هي لا تعتمد على أي صورة كاذبة، وإنما تتجلى بلاغتها في حسن إصابتها للمعنى الصحيح ، وحسن صياغتها في تعبير جميل، ولعلّ حسان رضي الله عنه كان يعني هذا الميزان حينما قال:

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/٥٥-٥٦.

وَإِنَّ أَشْـعَـرَ بَـيْتٍ أَنْـتَ قَـائِـلُـهُ بَـيْتٌ يُـقَالُ إِذَا أَنْشَـدْتَـهُ صَـدَقَا

إلاَّ أن الذي غلب على الشعراء المبالغة في الصور البيانية إلى حد التخييل الكاذب الصريح، وخاصة في مقاصد الوصف والمدح والهجاء، فتسابقوا إلى الإغراب في ذلك، وإلى ابتداع المعاني الموغلة في الاستحالة، زاعمين أنه بذلك يحلو الشعر ويستعذب، فمن قائل:

بَكَتْ لُـؤْلُؤَاً رَطْـبَاً فَسَالَتْ مَدَامِعِي عَقِيقَاً فَصَارَ الكُلُّ فِي جِيدِهَا عِقْدَا

وقائل:

فَـلَوْلَا الرِّيْحُ أُسْـمِعَ مَنْ بِـحُجْـرٍ صَـلِيلَ الـبِيضِ تُـقْـرَعُ بِـالذُّكُـورِ

ولعمري لو كان هذا الميزان صحيحاً، إذن لكان أكثر حسناً وعذوبة في الشعر قول أبي نواس:

وَأَخَـفْتَ أَهْـلَ الشِّـرْكِ حَتَّـى إِنَّـهُ لَـتَخَافُكَ الـنُّطَفُ الَّتِي لَـمْ تُـخْلَقِ

المذهب الرابع: مذهب من أجاز العبارة ولكن مقيدة:

ومن أنصار هذا المذهب الخفاجي الذي قال: وأما المبالغة في المعنى والغلو، فإن الناس مختلفون في حمد الغلو وذمه، فمنهم من يختاره ويقول: (أحسن الشعر أكذبه)، ويستدل بقول النابغة وقد سئل من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد كذبه، وأضحك رديئه، وهذا هو مذهب اليونانيين في شعرهم، ومنهم من يكره الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة، ويختار ما قارب الحقيقة، ودانى الصحة، ويعيب قول أبي نواس:

وَأَخَـفْتَ أَهْـلَ الشِّـرْكِ حَتَّـى إِنَّـهُ لَـتَخَافُكَ الـنُّطَفُ الَّتِي لَـمْ تُـخْلَقِ

لما في ذلك من الغلو والإفراط الخارج عن الحقيقة، فلا بد من المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو، لأن الشعر مبني الجواز والتسمح، ولكن باستعمال (كاد) في ذلك وما جرى في معناها ليكون الكلام أقرب إلى حيز الصحة كما قال أبو عبادة:

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّـلْقُ يَـخْتَالُ ضَاحِكاً مِنَ الـحُسْنِ حَتَّـى كَادَ أَنْ يَتَـكَلَّمَا

وقال أبو الطيب:

يُطَـمِّعُ الطَّيْـرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْـلِـهِمُ حَتَّـى تَكَادَ عَلَى أَحْـيَائِـهِمْ تَـقَـعُ

المحور الثاني
آراء في حرية الشعر

هناك آراء كثيرة في حرية الشعر، وهنا نقف عند أهمها، ومن ذلك ما رواه ابن قتيبة منقولاً عن الأصمعي من أن الشعر نَكِدٌ يقوى في الشر، ويلين ويضعف في الخير، واستشهد على ذلك بشعر حسان بن ثابت،

إن أدب الحرية في (القرآن الكريم) يجعلنا على يقين شبه تام أن ما نراه في القرآن الكريم هو انسجام الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية في وحدة الفعل. فالإرادة الإلهية تتحقق عبر مشيئة كلية تعبر عنها حتمية كونية شاملة في قبول الإيمان أو رفضه، وفي ذلك خروج فكري وعملي لهذه الإرادة الإنسانية في شكلها الأخلاقي أو غير الأخلاقي[1].

وما ذكره قدامة بن جعفر من إجماع أهل الفهم على أن (أعذب الشعر أكذبه)، فيمكن الرد عليه من وجوه:

أولها: أن مثل هذه الأحكام العامة قيلت في البواكير الأولى التي شهدت مولد النقد الأدبي العربي، وهي لا تعتمد على منهج علمي بقدر ما تشير إلى حكم انطباعي سريع.

ثانيها: أن حسان بن ثابت واحد من أبرز ثلاثة شعراء من الأنصار أحاطوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهم: (حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك)، وقد أسلم حسان بن ثابت في سن متقدمة نسبياً، فقد مرّ من عمره في الجاهلية ما يقرب من خمسين سنة، ولذلك لم يكن تطور شعره شيئاً خارقاً، بل إنه كان أكثر الثلاثة الشعراء الأنصار استمساكا بتقاليد القصيدة الفنية. لا من حيث الشكل، بل من حيث المضمون، فقد استقر لدى الدارسين أن حسان بن ثابت كان أقدر الشعراء الثلاثة في هجاء المشركين على تعييرهم بمثالبهم القبلية، وذكر أيامهم في الجاهلية.

كما نجد لحسان قصيدة مدح بها الرسول احتوت مقدمتها الطللية التي مطلعها:

عَـفَـتْ ذَاتُ الأَصَـابِعِ فَالـجِـوَاءُ إِلَـى عَـذْرَاءَ مَـنْـزِلُـهَـا خَـلاءُ

على وصف مجلس من مجالس الخمر فذلك حيث يقول:

وَنَـشْـرَبُـهَـا فَـتَـتْـرُكُـنَا مُـلُـوكَاً وَأُسْـدَاً مَـا يُـنَهْـنِـهُـهَا الـلِّـقَاءُ

على الرغم من أن هناك احتمالين واردين إزاء هذا المطلع في هذه القصيدة:

(١) مشكلة الحرية في الإسلام، الدكتور فريد جبر : ٢٨.

أولهما: أن يكون هذا المطلع قد نظمه حسان في جاهليته.

ثانيهما: أن يكون قد نظم القصيدة كاملة قبل تحريم الخمر. ولكن هذين الاحتمالين لا يكفيان لنفي أن حسان لم يضعف شعره في الإسلام، ولم يتخَلَّ كثيراً عن الأصول الفنية للشعر، يضاف إلى هذا أن حسان بن ثابت قبل الإسلام، لم يكن من فحول الشعراء إذا ما قُورِن بمعاصريه كالنابغة الذبياني، والخنساء، وعلقمة بن عبدة.

وللرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مواقف عديدة مع الشعر والشعراء تشير في مجملها إلى تقديره صلى الله عليه وعلى آله وسلم للشعر، واهتمامه برسالة الكلمة الشاعرة، ودورها الفعال في تلبية الحاجات الإنسانية، وإدراكه ما لها من أثر في نفوس العرب وسلوكهم، كما تعبر من جانب آخر عن ملكة عربية أصيلة في نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في تذوق الشعر الجيد، والإثابة عليه.

ويمكن أن نقسم مواقفه تلك إلى أقوال وأفعال، فمن أقواله، وإن كان بعضها ضعيفاً في شأن الشعر:

- إن من الشعر لحكمة، أو لحكماً.
- إعطاء الشعراء من بر الوالدين.
- لا تدع العربُ الشِّعْرَ حتى تدع الإبلُ الحنينَ.
- الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها، وتسل الصغائن من بينها.

ومن أفعاله تشجيعه لحسان بن ثابت في أكثر من مقام على قول الشعر في هجاء المشركين، وأخباره شائعة في كتب الأدب، ومنها ما رُوِيَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان قد وفد عليه من بني تميم وعنده الصَّلْصَالُ بْنُ الدَّلَهْمَسِ، فقال قيس بن عاصم: يا رسول الله، عِظْنا عِظَةً ننتفع بها، فوعظهم حسنة، فطلب قيس مِنَ الجالسين أن ينظموا موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم شعراً، فلم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، وأرسل إلى حسان بن ثابت، فقام الصلصال فقال: يا رسول الله، قد حضرتني أبيات، أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: هاتها، فأنشد الصَّلْصَالُ:

تَـجَنَّبْ خَـلِيطاً مِنْ فِـعَالِكَ إِنَّـمَا ... قَرِينُ اَلْفَتَى فِي اَلْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَـلُ
وَلاَ بُدَّ بَـعْدَ اَلْمَوْتِ مِـنْ أَنْ تُعِـدَّهُ ... لِيَوْمٍ يُنَادَى اَلْمَـرْءُ فِـيهِ فَـيُـقْبِـلُ
فَإِنْ كُنْتَ مَشْـغُولاً بِشَيْءٍ فَلاَ تَكُنْ ... بِغَـيْـرِ اَلَّذِي يَرْضَى بِهِ اَللَّهُ تُشْغَـلُ
فَلَنْ يَصْحَبَ اَلْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ... وَمِنْ قَبْـلِهِ إِلاَّ اَلَّـذِي كَـانَ يَعْمَـلُ
أَلاَ إِنَّـمَـا اَلْإِنْـسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِـهِ ... يُـقِـيمُ قَـلِيلاً بَـيْنَهُمْ ثُـمَّ يَـرْحَـلُ

وقد يكون ما عُرف به الشعر من الميل إلى المبالغة والادّعاء، وما اشْتُهِرَ به الشعراء من الجنوح إلى الخيال والتهويل، من أسباب تنزيه الله رسولَهُ عن أن يكون شاعراً.

ومن مواقفه العملية كذلك مواقف مع الشعراء الذين هجوه من الكفار، فقد كان عفوه عن كعب بن زهير، وعن (سارية بن زنيم) بسبب ما قالا من اعتذار في ثوب شعري قشيب، وما أشهر قصيدة كعب بن زهير التي اعتذر بها ومطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

ولما قتل النضر بن مالك –أو ابن الحارث– وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رثاءُ أخته قُتَيلة له دعبتها على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قالت:

أَمُحَمَّدٌ وَلأَنْتَ نَسْلُ نَجِيبَةٍ فِي قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّما مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ
والنَّضرُ أَقْرَبُ مَنْ أَخَذْتَ بِزَلَّةٍ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَيَأْتِيَنْ بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفُقُ

إذن فالأديب المسلم الملتزم يتوجب أن يعتمد (الإسلامية) في تعبيره من أجل أن يكون صدوره منطقياً ومنسجماً مع ما يؤمن به ويعتقده. ويقيناً فإن (الإسلامية) هي غير (الكلاسيكية) أو (الرومانسية) أو (الكلاسيكية الجديدة) أو (الواقعية) أو (الطبيعية) أو (الواقعية النقدية) أو (الواقعية الاشتراكية) أو (الرمزية) أو (السريالية) أو (الطليعية) أو (المستقبلية)[1].

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، الدكتور عماد الدين خليل : ١٤٨.

الخاتمة

الخاتمة

بحث حرية الشعر في الإسلام يثير العديد من النقاشات والآراء المتباينة. فالشعر يُعَدُّ جزءاً هاماً من التراث الثقافي الإسلامي، وقد لعب دوراً مهماً في نشر الأفكار والمشاعر والقيم في المجتمعات الإسلامية على مر العصور.

تاريخياً، كان للشعر دور مهم في العصور الإسلامية الأولى، حيث كان يستخدم لنقل الرسالة الدينية والسياسية والاجتماعية. وقد كانت هناك حرية نسبية للشعراء في التعبير عن آرائهم ومشاعرهم، حتى إن بعض الشعراء كانوا ينتقدون الحكام والسلطة السياسية بشكل علني.

ومع ذلك، مرَّ الزمن، وظهرت بعض القيود والتحديات على حرية الشعر في الإسلام، وتأثرت هذه القيود بالعوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية للفترات التاريخية المختلفة. ففي بعض الحالات، تم فرض رقابة على الشعراء وتقييد حريتهم في التعبير عن آرائهم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسلطة الحاكمة أو القضايا الشائكة.

مبدئياً، يجب التأكيد على أن الإسلام يؤمن بحرية التعبير والرأي، طالما أنّها لا تتعارض مع القيم والمبادئ الأخلاقية الإسلامية.

يُشَجَّعُ المسلمون على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطرق مبنية على الحوار والاحترام المتبادل في الواقع.

والشعر الديني في الإسلام يعد جُزءاً مُهمّاً من التعبير الشعري، حيث يتم استخدامه للتسبيح والثناء على الله تعالى ونشر القيم الدينية. ومن القيم الأساسية في الشعر الإسلامي الإحسانُ والعدلُ والتسامحُ والحكمةُ.

مع ذلك، يجب أن نلاحظ أن هناك تنوعاً كبيراً في آراء العلماء والمفكرين الإسلامين حول حرية الشعر في الإسلام.

قد يختلف التفسير للنصوص الدينية والتقاليد والثقافات بين الفروع المختلفة للإسلام والمجتمعات المختلفة.

في الختام، يمكن القول إن حرية الشعر في الإسلام هي موضوع يتطلب مناحي متعددة للنقاش والدراسة. يجب أن نأخذ في الاعتبار السياق الثقافي والتاريخي والديني للمجتمع المعني. وعلى الرغم من وجود بعض القيود والتحديات، فإن الإسلام يشجع على التعبير الشعري بشكل عام، طالما أنه يتم ضمن الإطار الأخلاقي، والقيم الإسلامية.

المصادر

المصادر

- الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية، محمد بن إسماعيل البخاري، بتخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الإسلام والحرية والعلمانية، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- الإسلام والشعر، د. سامي مكي العاني، سلسلة عالم المعرفة ٦٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم . دمشق والدار الشامية . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، دار الهلال، د.ت.
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، السباعي بيومي، مطبعة العلوم، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
- تأويل مُشْكِل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٠م.
- حرية الإنسان في الإسلام، محمد أبو القاسم حاج محمد، تعليق: محمد العاني، دار الساقي، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

- شرح الصولي لديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٨٧م.
- الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، د. غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٧م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سَلاّم الجُمحي، قرأه وشرحه: أبو فِهْر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.
- كتاب الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.
- كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- مشكلة الحرية، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، الفجالة ــ مصر، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، د.ت.
- مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، د. سليم ناصر بركات، دار دمشق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، د. أحمد الرفاعي شرفي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.